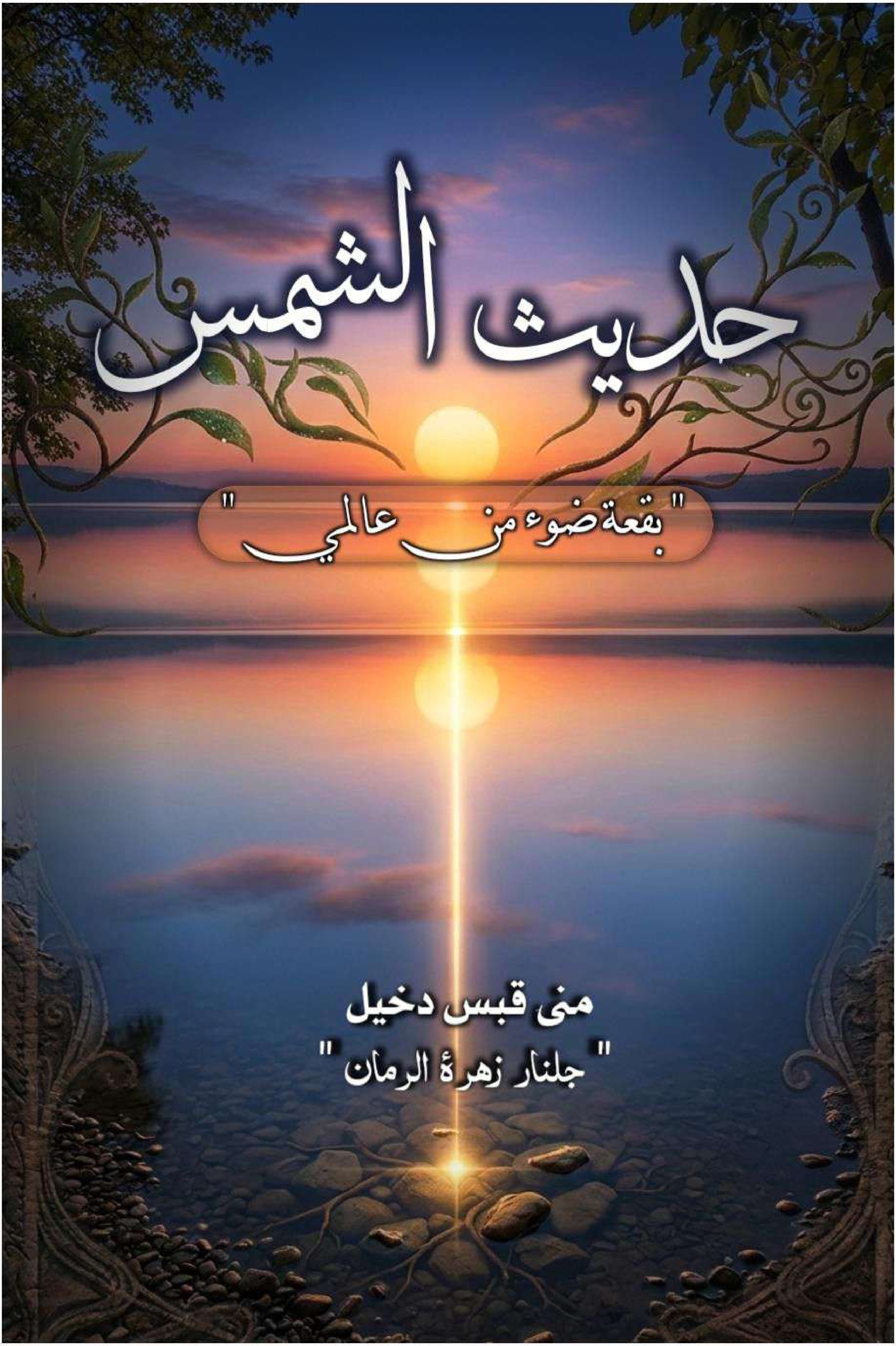
حديث الشمس
"بقعة ضوء من عالمي"
منى قبس دخيل
"جلنار زهرة الرمان"

الإهداء:

أُهدي هذا الكتاب لنفسي في ذكرى ميلادي

١٥/ ٥/ ١٩٩٥

المقدمة:

في البدء كانت الكلمة، ومذ وُلدت حملت في جوفها سرّ النور، فغدت القصيدة شمسًا صغيرة تتوهّج في العتمة، وتترك بقعة ضوءٍ على دروب الروح.
هذا الكتاب ليس أوراقًا متجاورة فحسب، بل هو رحلة بين ظلالٍ وأشعة، بين صمتٍ يهمس وبيانٍ يصدح، بين خواطرٍ تنبض بالحياة وقصائدٍ تفتح أبواب الحلم.

هنا، يلتقي القارئ بمرآةٍ تعكس وجوهه الخفية، ويجد في كل نصٍّ نافذةً على عالمٍ أوسع، حيث الشعر يظلّ وعدًا باليقظة، وخواطر القلب تظلّ شاهدًا على أن الإنسان لا يزال يبحث عن ضوءٍ يبدّد غيومه.

ينبوع وسحابة..

الدموع ليست كلها سواء؛ فدموع القلب تنبع من أعماقٍ لا يطالها البصر، إنها ينابيع الحزن التي تتفجر في شغافه، تسقي جراحه بملحٍ لا ينتهي، وتظل جاريةً كالنهر السرمدي الذي لا يعرف جفافًا.
هي دموعٌ صامتة، لا تراها العين ولكنها تُثقل الروح، وتترك في الداخل ندوبًا لا يبرؤها الزمن.
أما دموع العين، فهي أشبه بأمطار الصيف؛ تهطل فجأة، غزيرةً وسريعة، ثم تنقشع كأنها لم تكن، تاركةً خلفها أثرًا عابرًا يلمع على الوجنات ثم يزول.
إنها انفعال اللحظة، بينما دموع القلب هي ذاكرة العمر، لا تجف ولا تنطفئ، لأنها ليست ماءً بل نارًا سائلة تسكن الأعماق.

زمن غريب..

صرنا في زمنٍ غريبٍ يرفع التافه ويُقصي العاقل..
يكرّم المهرّج ويُهمل العالم..ويُسدل ستار النسيان على المثقف الذي أفنى عمره في خدمة الفكر والإنسان.
نكذّب الصادق لأن صدقه يفضح عجزنا ونصدّق الكاذب لأن كذبه يوافق أهواءنا.
نمشي وراء الناس بلا بصيرة حتى غدونا إمّعاتٍ بلا رأي ولا موقف كأوراقٍ تتقاذفها الرياح حيث شاءت.

هذا حالنا اليوم يُرثى له؛ أمةٌ كانت منارةً للعلم والحضارة فإذا بها تُصفّق للضجيج وتُهمل الحكمة تُعلي من شأن الوجوه المزيّفة وتُسقط القامات الأصيلة.
غابت البوصلة وضاع العقل وتحوّلنا إلى قطيعٍ يتبع الصوت الأعلى لا الفكر الأعمق.

إنها مأساة القيم حين تنقلب ومأساة العقول حين تُستعبد ومأساة الأوطان حين تُدار بلا وعي ولا ميزان.
وما لم نستفق من غفلتنا ونُعيد للحق مكانته وللعلماء منزلتهم سنظل نغرق في بحرٍ من التهريج ونُدفن تحت ركامٍ من الأكاذيب.

لماذا نعيش؟

نعيش لنعبد الله فبعبادته يكتمل معنى الحياة وتستقيم الروح على صراط الحق.
ونعيش لنترك أثرًا خالدًا يظل شاهدًا أن أعمارنا لم تكن ظلالًا عابرة بل نورًا يضيء دروب من بعدنا.
ونعيش لننهض بالمجتمع فكل نفسٍ لبنة وكل عملٍ صادق جدارٌ يُشيّد حتى تغدو الأمة حصنًا للعزّة والكرامة.
فالعيش الحق ليس في عدد السنين بل في عبادةٍ تُزكّي وأثرٍ يُخلّد ومجتمعٍ ينهض.

محاكاة..
ما زالَ صبرُنا في الدّربِ يُوقِدُنا
كالنارِ تُشعلُ في الأحشاءِ ذكراهُ

نحملُ الجراحَ كأسرارٍ نخبّئها
ونرتقي فوقَها، إذ زادَ بلواهُ

خانَ الأحبّةُ، فالأحلامُ أحرقتِ
قلبًا تفتّحَ بالنورِ الذي آواهُ

ما للوفاءِ إذا غابوا نُعانقُهُ
إلا كطيفٍ غدا في الليلِ أشباهُ

نبكي عليهمْ بدمعٍ ليسَ يَعرفُهُ
إلا الحنينُ الذي أذكى زواياهُ

لو عادَ من خانَنا يومًا، لرحمْنَهمُ
إذ قد غدونا على الأحقادِ أسمَاهُ

نُبقي على الصدقِ فينا، لا نُغيّرُهُ
مهما تهاوتْ خطوبُ الدهرِ أرجاهُ

الوفاء..

أن يبقى القلب ثابتًا على العهد لا تهزّه تقلبات الأيام ولا تغريه المصالح الزائلة.
الوفاء لا يُقاس بالكلمات بل يُثبت بالفعل حين يظل الإنسان حاضرًا في غياب من يحب صادقًا في حضرة الغياب كما في حضور اللقاء.
إنه جوهر الإنسانية وبدونه تصبح الروابط مجرد أوراق تتناثر مع أول ريح.

المنتصف..

نمشي على جسر معلّقٍ بين غيمتين لا نحن إلى البدايات عدنا ولا إلى النهايات وصلنا.
في المنتصف تُختبر القلوب.
هل تميل إلى ضفة الأمان أم تجرؤ على عبور المجهول؟

هناك..حيث يلتقي الضباب بالخطوات يصبح الحوار سجالًا بين الخوف والرجاء بين ثِقَل الأرض وخِفّة الحلم.

في المنتصف ندرك أن الطريق ليس معبرًا فحسب بل امتحانٌ للروح وأن كل خطوةٍ هي شهادة على قدرتنا أن نكون، رغم الغياب حضورًا يضيء العتمة.

عاشقةُ الشام ..

قذفتني الأقدارُ في ثقبٍ غدا
جدارُهُ المهترُ يروي المَشهدا

غسلتُ عيني من دهى صدماتِها
ورمّمتُ قلبًا كي أرى ما أُوجِدا

فإذا أنا بينَ الجدارِ وسقفِهِ
معلّقةً، والروحُ تسعى مُرشِدا

ورأيتُ خلفي مكتبةً متألّقًا
تُخبِرني الأسرارَ، تُنشدُ موئِدا

نادَى كتابي صوتُهُ متوهّجٌ
فأجبتُهُ، والنبضُ يَخفقُ مُرتدَا

قال: احمليني باليمينِ فإنّني
كتبتُ ماضيكَ الذي قد أُرصِدَا

وأبقيتُ صفحاتي العذراواتِ كي
تنثُري عليها العمرَ نورًا مُخلّدَا

هيّا تقدّمي وارفعي راياتِنا
يا عاشقةَ الشامِ، امضي مُتّقدَا

الرحم..

شجرةٌ مباركة..
من قطعها فقد اجتثّ أصلها..
ومن وصلها نال بركة العمر وسعة الرزق.
إن القطيعة ليست ضعفًا في المودة فحسب بل هي خيانة للعهد الإنساني الذي يجمع الأقارب ومحوٌ لرحمةٍ أرادها الله أن تسري بينهم.

لماذا أكتب؟

أكتب لأتنفّس الحياة،
أكتب حين يشتعل الألم في صدري، وحين يشرق الجمال من صنع الخالق في عيني.
أكتب حين يوقظني القلم، ليذرف الحرف دموعه على شرفات سطوري.
أكتب حين يحترق الشهيق ويختنق الزفير، فلا يبقى لي سوى الورق ملاذًا.
أكتب لأحيا، ولأُبقي في الحرف أثرًا يخلّدني.

أثر لا يشيخ..

كأن تلك النقطة السوداء التي انغرست في ماء روحي الصافية لم تكن عابرة بل صارت أثرًا لا يشيخ يطلّ عليّ كلما حاولت أن أتنفس النقاء ..
يذكّرني أن الصفاء لا يكتمل إلا بجرحٍ يختبره وأن النور لا يكتسب عمقه إلا حين يجاوره ظلٌّ عنيد فأحيا وأنا أحمل داخلي ذلك الأثر كعلامةٍ أبدية على أن الروح مهما اغتسلت تبقى شاهدة على ما نفذها وجعلها تنفد وكأنها لم تكن.

ليس حديد..

إنّي رأيتُ القلب ليسَ بحديد
لكنّه من لحمٍ و روح ووريد
إن طغى واستكبرَ الظلم العنيد
قطعتُ عنهُ النبض في يومٍ شديد
أتريدُ ثَورةً كي تبقى سعيد؟
فانهض وواجِه وعدَ الحقِّ المعيد
قفْ عند حدِّكَ أو أبرمْ لي وعيد
وإلا صلبتُكَ في صحوٍ جديد
أُذيقكَ ما لا تحتَملهُ الجلود
وأحرقُكَ كي تبقى وفيّا للعهود
فالنارُ تُهذّبُ مَن أطاع المريد
وتُكوي الجَموحَ وتستقيمُ به القيودِ

كاد المعلّم أن يكون رسولًا...

كنت جالسةً مع أولادي أحدّثهم عن يومهم كالعادة، فإذا ببنتي تسألتني، لماذا معلمتي أمام المدير تعاملني بلطف، أما حين يغيب توبخنا؟
ثم سألني ابني عندما سمع سؤال أخته، يا أمي: كيف تعلّمنا المعلمة درسًا عن الأخلاق وآداب الحديث، ثم تخاطبنا بفظاظة وكلمات جارحة؟
هنا بدأتُ أُفكر بعد ضياع كلّ الأجوبة في قاع تفكيري..
هذان السؤالان البسيطان في ظاهرهما، العميقان في جوهرهما، يكشفان مأزقًا تربويًا يعيشه التعليم اليوم.
فالأطفال ببراءتهم يلتقطون التناقضات التي قد يغفل عنها الكبار، ويضعون أصابعهم على جرحٍ قديم يتجدد: انفصال القول عن الفعل، وانفصام الرسالة عن الممارسة.

في الماضي، كان المعلم قدوةً قبل أن يكون مبلّغًا للمعرفة.
كان حضوره امتدادًا للأب والأم، يعلّم بالرحمة كما يعلّم بالعلم، ويجعل من سلوكه درسًا حيًا لا يحتاج إلى شرح.
لم يكن التعليم وظيفةً تُؤدّى تحت أعين المدير أو في ظل الرقابة، بل رسالةً أخلاقية وروحية، يلتزم فيها المعلم بما يقول، ويجعل من اتساقه الداخلي مصدرًا لهيبته واحترامه.

أما اليوم، فقد غلبت على التعليم مظاهر الشكل والتمثيل، فصار بعض المعلمين يبدون اللطف أمام المدير أو في المناسبات الرسمية، ثم ينقلبون إلى القسوة حين يغيب الرقيب.
وهنا يتولد في ذهن الطفل شعور بالازدواجية: أن القيم التي يتلقاها في الدرس ليست هي ذاتها التي يراها في السلوك.

فيتعلم أن الأخلاق شعارات تُقال لا أفعال تُعاش، وأن الصدق واللطف مجرد واجهة لا حقيقة.
وهذا أخطر ما يمكن أن يترسخ في نفس الناشئة، إذ يزرع الشك في جدوى القيم، ويحوّل التعليم إلى خطاب أجوف.

إن التعليم الحق لا يقوم على ازدواجية، بل على وحدة القول والفعل.
فالمعلم حين يعلّم الصدق يجب أن يكون صادقًا، وحين يعلّم اللطف يجب أن يكون لطيفًا، وإلا فقد رسالته.
فكل كلمة منه تُترجمها عين الطفل إلى سلوك، وكل تناقض يُترجم إلى خيبة.

وما أسئلة الأطفال إلا نداء صريح لإصلاح هذا الخلل، وإعادة التعليم إلى رسالته الأولى: أن يكون نورًا يضيء بالمعرفة، ودفئًا يزرع بالقيم، لا ازدواجية تُربك النفوس وتشوّه المعاني.

إنها دعوة لأن نعيد للتعليم صدقه، وللمعلم قدوته، وللدرس حياته، حتى لا يظل الطفل يتساءل بدهشة: لماذا يعلّموننا ما لا يفعلون؟ بل يجد في معلمه الجواب الصامت الأبلغ: أن الأخلاق ليست درسًا يُلقى، بل حياة تُعاش.

ومازلتُ أخيطُ جوابًا شافيًا لأولادي كي لا يفقدوا ثقتهم بالقدوة بينما الخوف يتملّكني ويشعرني بأن تربيتي لأولادي تحتاج رقابة أكثر فالجسر الذي كان بين الوالدين والمعلم بدأ ينهار تدريجيًا.

مأساة الحرية..

مأساة الحرية حين تتحوّل إلى قيد ومفارقة القوة حين تنقلب ضعفًا كأنّها تُعلن أنّ أخطر السجون ليست تلك التي تُبنى حولنا بل تلك التي نُشيّدها في أعماقنا حين نخاصم ذواتنا ونرتاب في نورنا.
فتصبح الروح وهي المخلوقة للتحليق شاهدةً على سقوطها وتغدو الأجنحة التي كانت رمزًا للسموّ شاهدةً على اختيارٍ مريرٍ بالانكسار.

عشقُ الحروف..

جُبلت بمسك الحروف وإنني
بها أذوبُ كثلجٍ في اللهب
جمالُها يفتحُ أبوابَ الهوى
ويُشعل القلبَ نورًا في السّحب
جلالُها يرفعُ الأرواحَ في فضاءِ
معنىً يجلّي كلّ رَتَب، جُعلتُ
فيها أسيرًا صادقًا، أُغنّيها شعرًا
وأختمُ نواصيها بنور الحُجبِ.

روح الجمال..

أطلّ ربيعُ الكون يوقِظُ نائمًا
ويُحيي جمالًا في وجوهِ الفصولِ
فأزهرتِ الأرضُ البليدةُ بعدما
تنفّسَ عطرُ الحقل بين حقولِ
وأشرقَ وجهُ الدهرِ يضحكُ
باسِمًا كأنّ زمانًا عادَ بعدَ أفولِ
ولدتُ بين شهورهِ فكيف لا أحبّه
وهو الجمال الّذي يزركشُ السهول.

الروحُ..

نفحةٌ من الغيب وسرٌّ لا يُدركه عقلٌ ولا يحيط به وصف.
هي النور الذي يسكب الحياة في الجسد فإذا غابت
انطفأ المصباح وسكن البدن.

انبجاس..

رُوحِي تنبجس يا إلهي بسِرِّهَا
فبها أُحِسُّ النُّورَ يَغْمُرُني سَنا
سِرٌّ تَوارى في الغيوبِ كأنَّهُ
نَفَحَاتُ قُدسٍ لا تُحاطُ ولا
تُرى أمّا النّفوسُ فمِرآةٌ مُعَذَّبَةٌ
تَسعى وتَصطَرِعُ الأهواءَ والهِمَما
تَرقى إذا زُكِّيَتْ في سُلَّمٍ عُلَويٍّ
وتَهوى إذا غَلَبَتْها غَفلَةٌ وَهَنا
فالروحُ تُحلّقُ في جَلالٍ سابِحٍ
والنَّفسُ تُبتلى وتُسجّلُ ما جَنا
يا نَفْسُ طَهِّري مرآكِ وارتَفِعي
فبغيرِ زكاكِ لا يُدرَكُ المُنى

تحوّل..

الأمان حين يكتمل يصبح كالحضن الدافئ، يسكب في الروح طمأنينةً ويغمر القلب بسكينةٍ لا تُشترى.
لكنه، في لحظةٍ خاطفة، قد ينقلب إلى خوفٍ إذا اهتزّ أساسه أو تزلزلت ثقة المرء بما حوله.
فالمكان الذي كان ملاذًا قد يغدو سجنًا، والوجه الذي كان مأمنًا قد يصير تهديدًا، والسكوت الذي كان راحةً يتحول إلى صرخةٍ مكتومة.

إنه التحوّل الذي يُشبه انكسار الضوء في المرآة: من صفاءٍ يبعث الطمأنينة إلى انعكاسٍ مشوّه يثير القلق.
الأمان ليس مجرد جدارٍ يحمي، بل هو شعورٌ داخليّ، فإذا تسرّبت إليه الشكوك صار الخوف ظلّه الثقيل.

غياهب الروح..

تخرجُ من غياهبِ الروح ينابيعُ لا تُرى كأنها أنفاسُ نورٍ كانت محبوسةً في ليلٍ عميق ثم وجدت طريقها إلى القلب.
وحين تطفو لا تأتي خفيفةً ولا عابرة بل تأتي كإشراقٍ داخليّ يلمس جوهر الإنسان فيُعيد ترتيب نبضه ويزيده بهاءً يشبه صفاء الماء حين يلتقي بالضوء.
في تلك الأعماق المطمورة تتشكّل أصفى المعاني هناك تتطهّر الرغبات وتتهذّب الأحلام وتتعلم النفس كيف تُنبت نورها من ذاتها.
ومن هناك من ذلك القاع الذي لا يبلغه أحد تنبع ينابيع رقراقة تحمل حكمةً لا تُكتسب بل تُولد.
وحين تصل إلى القلب يزدهر كحديقةٍ سُقيت فجأةً بغيثٍ مُبارك؛ يلين ويصفو ويزداد جمالاً لا يُفسَّر لأن البهاء الحقيقي لا يُصنع بل يتجلّى حين تتصالح الروح مع سرّها العميق.

همسُ جدار..

فتحتُ كتاباً والظلالُ تُحيطني
فهَمسُ جدارٍ في الفؤادِ يُناديني
رأيتُ وجهي في السطورِ مُرتجفاً
كأنَّ زماني في يديهِ يُساقني
تساقطَ حبرٌ مثلَ ليلٍ غامضٍ
يُطوينيَ سِرّاً في خفايا دفاتري
فأغلقتُ بابَ الحلمِ خوفاً مُرتجى
ولكنَّ صوتاً في الظلامِ يُلاحقني
فهل أنا الماضي الذي قد عاد لي؟
أم الحاضرُ المجهولُ صارَ يُحاكيني؟

سأحمل وطني في حقيبةٍ..

أغادر الوطن مثقلًا بجرحٍ لا يندمل كأن الأرض تُنتزع من تحت قدمي وكأنني أُقتلع من جذوري اقتلاعًا.
ومع ذلك، لا أترك شيئًا خلفي؛ سأحمل الأشجار التي كانت ظلّ طفولتي والأنهار التي غسلت وجهي في صباحات الأمل وسأحمل التراب الذي التصق بيدي حين زرعت بذور الحياة ورائحة الفجر التي كانت تبشر بيوم جديد والبيوت التي حفظت أسراري وذكرياتي.
سأحمل ضجيج المدينة الذي علّمني معنى الصخب والحياة وسأحمل هدوء الريف الذي علّمني معنى السكينة والانتظار.
سأحمل كل ما في الوطن من أصوات وصمت ..
من جراح وأحلام..
من وجوه وأماكن..
لأثبت أن الوطن لا يُنتزع من القلب حتى لو انتُزع الجسد من أرضه.

ميلاد القصيدة..

تولد من رحم الألم وتجارب الإنسان العميقة..
تنسج بخيطٍ من الخيال لتغزل عالماً يتجاوز حدود الواقع حيث تتسرب الكلمات من فضاءٍ آخر كأنها رسائل سرية من الغيب فتلتقي بالروح لتلد لوحةً ملونة بالإبداع تجمع بين وهج المعاناة وبهاء التصوير الفني وتتحول إلى كيان حيّ يفيض بالمعنى والجمال.

للجنة..
سأمضي إلى فجرٍ يضيءُ وجودي
وأحيا بعزمٍ في دروبِ الخلودِ

خلودٌ وحريةٌ بلا قيودٍ
تفيضُ كأنهْرٍ بلا سدٍّ ولا حدودِ

رحيقُ عودٍ في فضاءٍ طاهرٍ
يُعانقُ روحي بالصفاءِ وبالورودِ

خطايَ وإنْ عثرتْ، فالرجا
يُقيمُ جناحي فوقَ أفقٍ من الصعودِ

روحي إذا ما لملمتْ أشلاءَها
تعودُ كطيرٍ من رمادٍ إلى الوجودِ

تحمّلُ أحلامي، تقرّبُ بُعدَها
وتبني جسورًا نحوَ جنّةِ ذي الوعودِ

إلى جنةِ الخلدِ أشتاقُ دومًا
ففيها النقاءُ، وفيها الصفاءُ، وفيها الخلودِ

بلُغتي..

أنا متوترة..

أمشي على حبلٍ من شوكٍ ونارٍ يؤجج قلبي ويحرق أوتارهُ فيركمني كرمادٍ تداعبهُ الرّيح.

الفرح..

أطيرُ نحو حلمي بلا أجنحةٍ وأنام على غيمةٍ من أمنية تحققت.

الشوق..

أتوقُ لرائحةِ كفّك كما تتوق النحلة لشذى الزهرة و أراكَ في مرايا قلبي دون أن أراك.

على صفحةِ الريح..

أميل بما يجول فيَّ ميلَ السنابل، وأتحرّى شمسَ المنى بقلمٍ يضيءُ العتمة ويشقُّ الدروب.
كأنني أكتبُ على صفحةِ الريح، أزرعُ الحروفَ في حقولِ الأمل، فتتمايلُ كالغلالِ في موسمِ الوفرة.
كلُّ كلمةٍ تنبضُ كحبةِ قمحٍ، وكلُّ سطرٍ يشرقُ كفجرٍ جديد، يفتحُ أبوابَ الغد ويُحرّرُ الروحَ من قيودِ الأمس.

رحلة الذات..

تطويرُ الذاتِ رحلةٌ لا تنتهي
تبدأُ من ضعفٍ يُصارعُ في الخفاء

ومن صدقِ قلبٍ يواجهُ نفسه
قبل أن يطلبَ مدحَ الأصدقاء

الذاتُ ليستْ هبةً تُعطى بلا عناء
بل بناءٌ يُشيَّدُ بالصبرِ والرجاء

كلُّ سقوطٍ درسٌ، كلُّ جرحٍ نافذةٌ
تفتحُ أبوابَ العمقِ والضياء

نرتقي من الظلِّ إلى النورِ البهيّ
ومن عادةٍ إلى حريةٍ نقية

ومن غفلةٍ إلى حكمةٍ سامية
تُضيءُ الدروبَ وتُحيي الوصية

كلُّ لحظةٍ بدايةٌ جديدةٌ
فالإنسانُ مشروعٌ أبديٌّ لا يكتمل

أعظمُ انتصاراته أن يظلّ باحثًا
عن ذاته، لا عن صورةٍ تزول وتضمحل

على عتبة الصمت صورة..

تجلس الكلمة على عتبة الصمت تكتب بمداد القلب ما تعجز عنه الألسن.

شمعةٌ وحيدة تحرس العتمة ووردةٌ حمراء تنبض بالسرّ فيما الباب المفتوح يفيض وعدًا بأن كل بوحٍ صادقٍ هو عبورٌ نحو النور.

هنا، تتحوّل الأوراق المبعثرة إلى أجنحة والكتابة إلى خلاص والصورة إلى قصيدةٍ لا تُقرأ بالحروف بل بالروح.

جمال..

جَمالُ الروحِ يَسمو لا يَزولُ
وجَمالُ الخُلقِ يَبقى في القُلوبِ
وجَمالُ العقلِ يُلهِمُ مَن يَراهُ
وجَمالُ الشكلِ يَفنى كالغُروبِ
فكُلُّ الحُسنِ نورٌ مُتَّصِلٌ
يُرَفرفُ بالمعاني والدرُوبِ

"ضحيّةٌ وقاتلٌ في آن"

قتلتُ طفولتي وأحرقتُ زهــرةً
كانتْ تضيءُ ببرعمٍ متأنِّسِ

وأضعتُ صوتي في مجاهلِ صمــتِه
فغدا صدىً مكسورَ قلبٍ يائسِ

مزّقتُ روحي حينَ كانتْ باسمةً
فغدتْ رماداً في كؤوسِ بؤسِ

ورميتُ جثتَها ببئرٍ مظلمٍ
كي لا تعودَ إلى فضاءِ الحِسِّ

لكنني ألقاها بعينٍ دامعــةٍ
تسري وتغرقُ في بحارِ همسِ

تبتسمُ الآهاتُ في وجهي، وإنْ
أفنَيتُها، أفنَيتُ نفسيَ بالنفسِ

سلامُها المذبوحُ أدمى مهجتي
وأدارَ حولي سِوارَ شؤمٍ نحسِ

فأنا الجريمةُ والضحيةُ كلُّها
أنا من قتلتُ حياةَ قلبي بالنفسِ

النقاء..

هو عودة الروح إلى أصلها الأول، حيث لا تشوبها رغبة ولا يثقلها حقد، بل تظل شفافة كالماء، صافية كالمرآة، تعكس الوجود كما هو بلا زيف ولا ادعاء.
إنّه صفاءٌ يجعل الإنسان قادرًا على رؤية الحقيقة بوضوح، وعلى ممارسة الخير بصدق، وعلى أن يكون في ذاته ميزانًا للعدل وسكنًا للسلام.
الروح النقية هي التي لا تُستعبد بالغرور ولا تُستدرج إلى الكراهية، بل تبقى متوازنة بين العقل والوجدان، بين الحرية والمسؤولية، لتغدو شاهدًا على أن جوهر الإنسان أسمى من المظاهر، وأن الحقيقة لا تُمتلك بل تُعاش.

الفراغ ليس خواءً يُهدر..

هو مساحةٌ داخلية إذا أُحسن استثمارها تحوّلت إلى حوارٍ صامت مع الذات يتسع فيه مدار التأمل وتتشابك فيه الأفكار حتى تنبت بذور الإبداع؛ فحين يفتح الإنسان أبواب وقته للسكون يكتشف أن الفراغ هو أخصب أرضٍ لإنبات المعنى وأن الأحاديث الداخلية هي الجذور التي تُغذّي كل فكرةٍ عظيمة قبل أن ترى النور. فاستثمار الفراغ بتحويل الصمت إلى حوارٍ داخلي ينبت منه الإبداع كما تنبت الزهور من تربةٍ خفيّة.

الحِلم..

تسامى الحِلمُ فوقَ الغضبِ،
فأضحى التاجَ في رأسِ الأدبِ.

هوَ قوّةٌ تُخفي شدائدَها،
وتُظهرُ الصبرَ في وجهِ النَّوَبِ.

إذا استبدَّ الشرُّ في لحظةٍ،
فالحِلمُ يطفئُ نارَهُ بالذهبِ.

هوَ انتصارُ الروحِ في عُلوِّها،
وسموُّ إنسانٍ على كلِّ سببِ.

روح في قوقعة..

أتقوقعُ في صدري لأحمي ضعفَنـي
فتسقطني أرضًا بلا سيفٍ ولا رمحِ

وتحاربُني رغمَ انكساري أعزلًا
وتحاربُ عينًا لا ترى، روحًا بلا فسحِ

كفاكِ تمردًا على جدارٍ خطّني
كفاكِ ذبحًا لعنقٍ صار جسرًا لمجدكِ الفاتحِ

كفاكِ إذلالًا لخطواتٍ أنهكتْ
وكفاكِ غرسًا للسكينِ بصدرِ جُرحي

سأعتقكِ كي تنالي منّي، فالحروبُ طالتْ
والبيادقُ في رقعةٍ تعفّنتْ من الطرحِ

سأعتقكِ كي تنتصري، فنصركِ هزيمةٌ
لسجّاني الذي كبّلني في قيدِه الصَّلْبِ

أنا المنكسرُ الذي يكتبُ بدمه نشيدًا
أنا الأعزلُ الذي يرفعُ من رمادهِ صبحِ

أنا الذي يواجهُ حربًا بلا سلاحٍ ولا جندٍ
أنا الذي يواجهُ ظلَّكِ، ويهزمُ فيكِ كلَّ قيدٍ وكلَّ جرحِ

رسالة من مجهول

إلى من سيقرأ هذه الكلمات بعدي..

لا أعرف إن كنت أكتب اعترافًا أم وصية، لكنني أشعر أنني مُجبر على ترك أثرٍ لما يحدث هنا. منذ أيامٍ لم أرَ الشمس، كأن البيت ابتلع الضوء وأغلق كل النوافذ. في البداية ظننت أن الأمر مجرد عطلٍ في الكهرباء، لكن العتمة كانت أعمق من ذلك، كأنها كائنٌ حيّ يزحف في أرجاء المكان.

كل ليلة أسمع خطواتٍ لا تنتمي لأحد، وأرى ظلالًا تتحرك في الممرات، لكنها تختفي حين أقترب. المرآة لم تعد تعكس وجهي، بل وجوهًا غريبة تحدّق بي ببرودٍ قاتل. حاولت أن أغطيها، لكن الغطاء انزلق وحده، وكأن أحدًا يرفض أن يُخفي الحقيقة.

الأوراق أمامي لم تعد ملكي. كلما كتبت جملة، ظهرت كلمات أخرى لم أكتبها: لن تخرج من هنا حيًّا. تتكرر بلا توقف، حتى صارت جزءًا من هذه الرسالة. لا أعلم إن كنت أنا من يكتب، أم أنني مجرد شاهد على اعترافات كائنٍ آخر يسكنني.

أكتب الآن وأنا أسمع أنفاسًا خلفي، أنفاسًا باردة كالجليد، لكنها أقرب من أن تكون وهمًا. إن وصلت هذه الرسالة إليك، فاعلم أنني لم أعد موجودًا. العتمة ابتلعتني، والأسرار التي كانت تختبئ فيها صارت جزءًا مني.

لا تبحث عني... لأنني لم أعد إنسانًا. لقد صرت الحكاية نفسها.

مُفارقة..

الثقافة والخبرة لا تُقاس بشهاداتٍ تُعلَّق ولا بألقابٍ تُمنح، بل بما يتركه الإنسان من أثرٍ في العقول والقلوب.
وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أعظم شاهدٍ على ذلك؛ فلم يحملوا شهادات أكاديمية، ولم يتخرجوا من جامعاتٍ أو معاهد، لكنهم كانوا مدارس عريقة في الحكمة والإيمان، نهلوا من معين النبوة الصافي، وصدروا للعالمين أعظم شهادة وهي شهادة الحق والعدل والرسالة الخالدة.
إنهم علّموا البشرية أن العلم نورٌ يُستمد من التجربة واليقين، وأن الثقافة الحقيقية هي التي تُترجم إلى سلوكٍ ومواقف، لا إلى أوراقٍ وأختام.
إن قيمة الإنسان ليست فيما يُكتب على جدار، بل فيما يُكتب في التاريخ والضمائر.

الفرصُ..

هِباتٌ لا تُقاسُ بالزمن، بل بقدرةِ القلبِ على أن يُصدِّق أنَّ للحياةِ وجهًا آخر؛ ومنحُ الفرصةِ هو أسمى صورِ الثقة، إذ يُعيدُ للإنسانِ حقَّه في المحاولة، ويُوقظُ فيهِ شجاعةَ البدء من جديد، فلتكن الفرصُ جسورًا من نورٍ نمدُّها للآخرين، علَّهم يعبرون بها إلى ذاتٍ أبهى ومستقبلٍ أعدل.

لا تزول..

ثورةُ الحقِّ لا تَزولُ، وإنْ غابَتْ
تُوقِظُ الأرضَ إنْ غفا صَداها
هيَ نارٌ على المدى تتوهَّجُ دومًا
تُذكي الأرواحَ، لا يُطفَأُ سَناها

إنْ تهاوتْ قلاعُ ظلمٍ، تُعيدُ
صوتَ شعبٍ يَصونُ عِزَّ خُطاها
فهيَ الباقيةُ، لا يَذوبُ ضياؤُها
كالشَّمسِ، لا يَحجُبُ الدُّجى ضِياءَها

من جبين الشمس..

أسيرُ وحدي بخطًى ثابتةٍ،
وأدعُ رسمي يكتبُ اسمي على صفحةِ الغياب.

أنسابُ كنسمةِ ربيعٍ وليدة،
كخيطِ نورٍ هبطَ من جبينِ الشمس.

تحتَ أقدامي يتأرجحُ الزمنُ مع الجسر،
فيرتميان في قبضةِ مستقبلٍ يرتدي ثوبَه الأبيض.

أسيرُ وأنثرُ الضبابَ في وجهِ السماء،
لأمحو دموعَ الشتاءِ الحزين.

كلُّ شيءٍ حولي يمورُ برقصاتٍ عشوائية،
تشبهُ رقصةَ ثوبي الأحمر المتوهّج.

ألقيتُ الماضي خلفي،
ورسمتُ الحاضرَ بنورِ روحي العائمة،
بينَ الجسرِ والقبضةِ المتجمّدة.

دمعة قهر..

دمعةٌ صغيرة انسلت من عين طفلٍ جائع، فبدت كأنها لؤلؤةٌ مكسورة على خدٍّ نحيل. ليست دمعة ماء، بل دمعةُ روحٍ مثقلةٍ بالحرمان، دمعةُ قلبٍ لم يعرف دفءَ الطفولة ولا بهجة اللعب. في تلك الدمعة تختصر المأساةُ كلَّ معاني الفقر: جوعٌ ينهش الأحشاء، وحرمانٌ يطعن البراءة، وصمتٌ يصرخ في وجه العالم.

كأنها سؤالٌ موجّه إلى الضمير الإنساني: كيف تُترك الطفولةُ عاريةً أمام برد الحياة؟ وكيف يُسمح لدمعةٍ أن تكون غذاءً بدل الخبز، ورفيقًا بدل الحنان؟

إنها دمعةٌ واحدة، لكنها تحمل ثِقَلَ أمةٍ بأكملها، وتذكّرنا أن الفقر ليس عجزًا في الجيوب فحسب، بل هو جرحٌ في القلوب، وامتحانٌ للإنسانية.

القطار الذي تبدّل صمته..

كان القطارُ ينسابُ في هدوءٍ ثقيل،
كأنّ العجلاتِ تكتبُ على السكةِ أناشيدَ النوم،
والركّابُ غارقون في صحفٍ وأحلامٍ معلّقةٍ على النوافذ.

كلُّ شيءٍ ساكنٌ،
كأنّ العالمَ قرّر أن يتوقّف عن الصخب لحظةً واحدة.

ثمّ انفتح البابُ،
ودخل رجلٌ بثيابٍ منهكة،
يتبعه ثلاثةُ أطفالٍ كالعاصفة.
ركضوا بين المقاعد،
انتزعوا الصحف من الأيدي،
ضحكوا بصوتٍ يجرحُ السكينة،
فانقلب المشهدُ من صمتٍ إلى فوضى،
ومن رضا إلى غضبٍ مكتوم.

اقترب رجلٌ من الأب،
قال بحدةٍ كالسهم:
"ألا ترى؟ أبناؤك يزعجون الجميع!"

رفع الأبُ رأسه،
وفي عينيه بحرٌ غارقٌ في الظلام،
وصوته خرج مبحوحًا،
كأنّه يجرُّ وراءه جبلًا من الحزن:
"أمهم... رحلت منذ ساعات.
نحن عائدون من المستشفى،
وأنا بالكاد أستطيع أن أتنفّس."

تجمّد الرجل،
انطفأ غضبه فجأة،
كأنّ الكلمات أطفأت نارًا في صدره.
نظر إلى الأطفال،
فرآهم قلوبًا صغيرةً تائهة،
لا يعرفون كيف يصرخون بالحزن إلا بالركض
والضجيج.

جلس بجانب الأب،
ووضع يده على كتفه،
وقال بصوتٍ خافتٍ يقطر مواساة:
"أعذرني... لم أكن أعلم.
ليمنحكم الله الصبر."

وفي تلك اللحظة،
تبدّل القطارُ كلّه:
من فضاءٍ مضطربٍ إلى حضنٍ من التعاطف،
ومن غضبٍ إلى رحمةٍ صادقة.
كان المشهدُ درسًا حيًّا،
كيف يمكن لحقيقةٍ واحدةٍ أن تقلب الموازين،
وتحوّل الغضبَ إلى إنسانية،
والضجرَ إلى نورٍ من الشفقة.

بوابة الزمن..

كأنني عبرتُ بوابة الزمن، فإذا بي أجد نفسي في عالمٍ لا يشبه ما عرفناه.
الهاتف الذي كان يرنّ كجرسٍ صغير في زاوية البيت، صار أثرًا خلف زجاجٍ بارد.
الرسائل الورقية التي كانت تحمل دفء اليد وارتعاش القلب، تحوّلت إلى أوراقٍ صفراء تُعرض كتحفةٍ نادرة.
والكتب التي كانت تُشمّ رائحتها وتُقلب صفحاتها بشغف، غدت شاشاتٍ مضيئة لا تحمل إلا صورةً عابرة.

كنتُ أمشي بين هذه المعروضات وكأنني في متحفٍ للذاكرة، أرى الماضي وقد صار أثرًا، وأسمع همسات الأجيال التي لم تعرف إلا التكنولوجيا.
وقفتُ أمام كتابٍ قديم، فتأملتُه طويلًا، ثم خاطبتُ الجيل الجديد:

"يا أبنائي، إن التراث ليس مجرد ذكرى تُحفظ في متحف، بل هو الجذر الذي يمنحكم الثبات في وجه العواصف.
لا تجعلوا الورق والكتب والرسائل مجرد آثارٍ صامتة، بل احفظوا روحها، فهي التي تُبقي الإنسان إنسانًا.
التكنولوجيا جميلة، لكنها بلا ذاكرة تصبح عابرة، أما التراث فهو الهوية التي تمنحكم معنى الوجود."

ثم أغمضتُ عيني، وكأنني أسمع صدى الماضي يقول:
"من لا يحفظ جذوره، يضيع في المستقبل بلا هوية."

أيا قدري..

يغفو الأملُ على جبينِ القدرِ
ويزهرُ حبًّا في قلوبٍ كالقمرِ
تلدهُ سماواتٌ مع الغيثِ إذ هَطَل
فيروي ظمأَ الروحِ من حنينِ النهرِ
أيا قدري اسقني من فيضِك الصبرَ
لأغدو طيرًا يقاومُ قسوةَ الحجرِ
أحلّقُ رغمَ القيودِ في فضاءِ الفكرِ
وأشدو نشيدًا يبدّدُ وحشةَ السَّفرِ
فإنّي وإن طالَ ليلُ الحزنِ بخاطري
سأبقى أغنّي على أوتارِ البصرِ
وأكتبُ نورًا يضيءُ الدربَ في أفقٍ
يعلو فيحيا به قلبٌ ويزهو به عمرِ

ربيع العمر..

هو فسحة النور بين بدايات الحلم ونضج الحكمة.
فيه يسكن القلب إلى سكونٍ رقيق كظل الغصون
وتتعالى أنغامه كطيورٍ تسبّح في فضاءٍ صافٍ.
هو زمنٌ تتفتح فيه الروح كما تتفتح الأزهار وتغدو
الحياة لحناً هادئاً ينساب في الأعماق يوقظ الأمل
ويزرع الطمأنينة.

عراقةُ البيوتِ الطينية..

الطينُ ليس مادّةً خامدة في البيوت العريقة بل ذاكرةٌ حيّة تنبض بعراقة القدم؛ ففي جدران البيوت الطينية يتجلّى التاريخ كوشمٍ على جسد الأرض، يروي حكايات الأجداد ويُبقي عبق البساطة شاخصًا أمام العيون.

هناك حيث يلتقي الإنسان بالطبيعة بلا وسيط، ينهض الطين شاهدًا على أصالةٍ لا تزول، يبرد في قيظ الصيف ويحتضن الدفء في برد الشتاء، ويحوّل الغيث إلى عطرٍ يوقظ الذاكرة.

تلك الأماكن ليست مأوى فحسب، بل لغةٌ تقول إن الأصالة تُبنى من التراب، وتبقى ما بقيت الأرض.

الموت..

الهيبة التي لا يجرؤ الزمن على انتقاصها، و الصمت المهيمن على ضجيج الحياة، والحدّ الفاصل بين غرور الجسد وسرّ الروح.
حين غلّفنا الحياة بزينة الجلود، تجرّأنا على نسيان رهبة الفناء، حتى صار الفقيد عند بعض البشر يُطوى ذكره بانقضاء العزاء، غير أن الموت يظلّ السيّد الذي يذكّرنا أن كل ما يزول لا يُخلّد إلا بما يتركه من أثر خالد في القلوب.

كاتبةٌ أنا..

لا أكتب لأروي سيرةً شخصية ولا لأُفصح عن مشاعري، فحياتي تخصني وحدي، أما قلمي فمرآةٌ للأحداث من حولي، يلتقط صدى المجتمع ويعيده في صورةٍ فكريةٍ بليغة.

إنني حين أكتب، أكتب بلسان الناس، أُترجم همومهم وآمالهم، وأُصغي إلى أنينهم وصراخهم، ثم أُعيده نصًا يضيء العقول ويوقظ الوعي.

كتابتي ليست اعترافًا ذاتيًا، بل شهادةٌ على زمنٍ، وصرخةٌ باسم الجماعة، أُفسّر بها الفكرة وأُجلّيها، وأجعل من الكلمة جسرًا بين الفرد والمجتمع، بين الواقع والحلم، بين المعاناة والأمل.

أنا الكاتبة التي لا تروي ذاتها، بل تروي عصرها، وتجعل من الحرف صوتًا جماعيًا يتجاوز حدودي ليصبح صدى الأمة كلها.

وداعُ وأثر..

حالَ الفُراقُ بنا كبحرٍ مُسجَرِ
تيهٌ يجرُّ الروحَ نحوَ المنحدرِ
وتبدّتِ الأرواحُ صحراءً بها
موتٌ يُقيمُ على العروقِ ويستقِرِ
صرنا كأرضٍ قد مرَّ فيها عُزيزُها
فأماتَنا ربٌّ بمئاتٍ من عصرِ
حتى إذا نبضتْ عروقٌ في ثرى
قَحلٍ وعظمٍ باتَ رميماً مُنتَثِرِ
يا شمسُ لا تطلعي من غربِنا
قد باتَ نورُكِ في مدافنِ مُقفَرِ
واحضني القمرَ اليتيمَ مودِّعًا
واعتصري من جفنِهِ قدحَ ندمِ
ضعي غُرسةً للأثرِ الأخيرِ على

دارِ الزوالِ، وارفعي صوتَ اعتبرِ
عودي لرحمنٍ رحيمٍ قادرٍ
يُحيي القلوبَ بنورِهِ المُستبصِرِ
متى يرنُّ لنا النواقيسُ التي
تبعثْ نفوسًا للحقائقِ تُبصِرِ
فنرى بأعينٍ وقد جلاها نورُه
وتعودُ أرواحٌ لفجرٍ مُزدهِرِ
فإذا انقشعْتِ غياهبُ الظلماءِ
لاحَ النهارُ على القلوبِ وأنوَرِ
وتفتّحتْ أزهارُ صدقٍ في المدى
تُهدي البصائرَ للهدى المستنيرِ
وتعودُ أجيالٌ كغرسٍ طاهرٍ
يُحيي ترابَ الأرضِ بعدَ المُقفِرِ
ويظلُّ وعدُ اللهِ حقًّا ناصعًا
يُبقي القلوبَ على الطريقِ المُنتصِرِ

أقداح الأسى..

عندما نسامح من سكبوا قلوبنا بأقداح الأسى.. و نواجه المأساة ببطولةٍ داخلية نكون كمن يقف على أطلال مدينةٍ محروقة ويعلن أن الرماد لا يطفئ النور.
فالمسامحة هنا ليست غفرانًا ساذجًا بل صراعٌ درامي بين القلب الممزق والروح التي تأبى الانكسار؛ هي لحظةٌ ينهض فيها الإنسان من تحت الركام يجرّ خلفه سلاسل الخيانة ثم يكسرها بصرخةٍ عالية ويقول: إن الصفح قوة وإن الكرامة لا تُهزم وإن أعظم انتقامٍ هو أن نظل أحياءً رغم كل ما أرادوا لنا من موت ونحن على قيد الحياة.

ريشةٌ وشريان..

سرقتُ من الفؤادِ شريانًا ووريدًا
وعلّقتُهما على عقاربِ الزمن
فانبعثَ من الموتِ قلبٌ جديد
يعلنُ أنّ الحياةَ ليست امتدادًا
بل ولادةً أخرى في صمتِ العدم.

نزعتُ ريشةً من جناحِ عصفورٍ
يتأرجحُ بين الفناءِ والحرية
ورسمتُ بها نورًا مديدًا
كأنّي أكتبُ على جدارِ الكون
أنّ الإبداع هو الولادة حين يتهشّمُ البُعد.

ذاك الكوخُ الصغيرُ الذي أسكنهُ لأتنفس؛
يتأرجحُ بين وترِ العودِ ونغمةِ الحلمِ البعيد
ليس بيتًا من خشبٍ وطين
بل صورةُ الإنسانِ المعلّقِ
بين الأرضِ والسماء
بين سؤالِ البدايةِ ووهمِ النهاية
بين ثقلِ الطينِ وخفّةِ المعنى.

زهرًا أسودًا..

غادرت خطاهُ فأنبتت زهراً أسودا
وغرقت عيني بدمعٍ مُرٍّ موردا
يا ليلُ كم أخفيتَ في أحشائِنا ألماً
حتى غدا القلبُ في أشجانِهِ صلدا
أبكي على عهدِه المفقودِ في زمني
كأنّهُ لم يكن إلا سراباً بدا
أحيا على ذكرياتٍ لا تفارقني
كأنّها في دمي ناراً وقد وقَدا
ما عادَ في الروحِ إلا صمتُ غربتِها
يذيبُ وجدي ويُبقي الحزنَ مُرصدا
أمشي على طرقٍ جرداءَ مُوحشةٍ
أبحثُ عن ظلِّه المفقودِ مُبتعدا
لكنّني رغمَ هذا اليأسِ أزرعُهُ
في خاطري أملاً يحيي غداً أبدا

جرحُ الخيبة..

ما عاد في القلبِ إلا جرح خيبتِهمُ
قد أطفؤوا النورَ وانطفّت لنا الهدى
كم كنتُ أُعطيهمُ حبًّا بلا ثمنٍ
لكنهم باعوا الإخلاصَ والودَدا
أبنيتُ فيهم رجاءً لا يقوّضهُ
فجاءني الهدمُ من أركانهِ سُرُدا
يا من غدوتُم رمادًا في محبّتنا
ما عادَ يُجدي بكم صبرٌ ولا صمدا
أبكي على زمنٍ ضاع الوفاءُ به
كأنّهُ لم يكن إلا سراباً بدا
قد علّمتني خطوب الدهرِ حكمتَها
أن لا أُصدّق قلبًا خانَ أو جحدا
فالعُمرُ يمضي وما في الناسِ من ثقةٍ
إلا الذي صانَ عهدَ الحبِّ وارتفَدا

بكاء زهرة..

بكتْ زهرتي الحمراءُ في عِزٍّ
نادتْ قلوبًا بحبٍّ طاهرٍ فازِ
تاجُ الجمالِ تزيَّنَتْ به يدٌ من
روعةِ الحُسنِ إذْ أهدى لنا كنزِ
يا زهرةً في ثنايا الروحِ ساكنةً
تبقى على الدهرِ أثرًا خالدًا باعتزاز

كلمةٌ موءودة ..

تكميم الأفواه خنقٌ للروحِ قبل أن تتنفس ووأدٌ للكلماتِ وهي ما تزالُ في رحمِ الفكرة.
إنّهُ قتل للمعنى قبل ميلاده وتشويه للحقِّ قبل أن يسطع.
وما أشدّ أن يُجرَح الإنسانُ بلسان سليط إذ يغدو الكلامُ سهامًا مسمومةً تتركُ في القلب نُدوبًا أعمق من جراحِ السيوف.

قلبي الحنيذ..

أسمعهُ وهو يكسرُ ضلوعي ليخرج،
كأنَّهُ طائرٌ أسودُ يفتّشُ عن سماءٍ لا تُرى.

أدلُّهُ على الممكن،
فيأبى الممكن،
ويغرسُ أجنحتَهُ في فراغٍ يتّسعُ كلّما اقترب.

يقتلُ سجّانه،
ويكسرُ قضبانَ سجنه،
كأنَّهُ يفضحُ سرًّا قديمًا:
أنَّ السجنَ ليس جدارًا،
بل وهمٌ يختبئُ في العيون.

إنهُ القلبُ الحنيذ،
يحرقُ نبضَهُ ليُشعلَ دربَ من يُحب،
كأنَّهُ شعلةٌ من دمٍ،
تتوهّجُ في ليلٍ لا يعرفُ الصبح،
وتتركُ وراءها رمادًا يتكلّمُ بلغةٍ لا يفهمها أحد.

هو القلبُ الذي يثورُ على ذاته،
ليُعلن أنَّ الحريةَ ليست خروجًا،
بل غيابًا يتجلّى في الحضور،
وأنَّ العشقَ ليس حياةً،
بل موتًا يتنكّرُ في هيئةِ ولادةٍ أبدية.

غواه الكِبر..

قد غوى في التيه من طَمعٍ
واستبدَّ الظلم موقفهُ
أغلقَ المتاح من كِبَرٍ
واستعارَ الوهمَ معرِفهُ
كم تهاوى في مهاويهِ
واستباحَ الحقَّ مُعترفهُ
أغرقَ الحياة بأحلامٍ
ثمَّ أنكرَها وأضعفهُ
لم يزل في غيّه سادراً
يزرعُ الباطل مُؤلفَهُ
فإذا ما الليل أسدلَهُ
محقَ الأهواءَ مُعترفهُ
يا من باعَ الضيا بالنوى
واستبدَّ الغرُّ موقفهُ
سوفَ يأتي يومه حاملاً
نارَ عدلٍ قد تلهّفهُ

قناعٌ بالٍ..

في فضاء مواقع التواصل الاجتماعي كثيرًا ما تتحول الكلمة البريئة إلى عبء ثقيل على المرأة الملتزمة بدينها إذ تخشى أن تبدي رأيًا أو تترك تعليقًا فينهال عليها سيلٌ من طلبات الصداقة والتواصل وكأن مجرد حضورها العاقل يُستباح.

إنّها مأساة التناقض: رجالٌ يرفضون أن تُعامل بناتهم وزوجاتهم بهذا الشكل لكنهم لا يتورّعون عن ممارسته مع نساء غيرهم.
هذا السلوك يكشف خللاً في ميزان القيم حيث تُغفل الخصوصية وتُهدر الكرامة ويُختزل وجود المرأة في كونها هدفًا للتواصل لا عقلًا يستحق الإصغاء.

إن احترام المرأة لا يكون بالانتقاء بل بالالتزام بمبدأ عام: أن تُصان كرامتها كما تُصان كرامة القريب والبعيد وأن يُنظر إلى رأيها باعتباره صوتًا إنسانيًا جديرًا بالاحترام لا دعوةً مفتوحة للتطفل.

فالمجتمع الذي يرضى بهذا التناقض يزرع بذور الظلم في بيته قبل أن يزرعها في ساحات الآخرين ويُعلّم أبناءه أن القيم ليست إلا شعارات تُرفع حين تخصّهم وتُسقط حين تتعلق بغيرهم.
والحق أن الكرامة لا تتجزأ ومن يفرّط في احترامها مع امرأة غريبة يفرّط بها مع أقرب الناس إليه يومًا ما.

الوفاء..

أن يبقى القلبُ على العهدِ ثابتًا لا تزعزعهُ رياحُ المصالح ولا تُغريه زينةُ الزوال.

هو جوهرُ الصدقِ الذي يُثبّتُ الإنسانَ في حضرةِ الغياب كما في حضورِ اللقاء.

كتاب مفتوح..

خذوا ما شئتم واتركوا لي قلبًا عاقلًا لا يطويه الزمن.
قلبًا يظل واقفًا في وجه العواصف.
يقرأ صمت الأيام كأنّه كتاب مفتوح..
ويحمل جراحه كأوسمةٍ من نور..
لا يساوم على الحق ولا ينحني للباطل..
قلبًا يظلّ شاهدًا على أن الإنسان لا يُقاس بما يملك
بل بما يبقى فيه من وعيٍ يرفض أن يُستعبد
ومن حكمةٍ تُقاوم تيه العصور..
ومن نبضٍ يصرّ أن يظل حيًّا حتى لو مات كل شيء من حوله.

أمي لا تُشبه القمر..

لا يشبهُ وجهُكِ القمرَ المعلَّقَ في العتمة
فالقمرُ يستعيرُ من وهجكِ ضياءه
والشمسُ تنحني لتأخذَ قبسًا من دفئكِ
والنجومُ تستشيرُ عينيكِ
لتعرفَ كيف تلمعُ أمام لمعانٍ لا يُطفأ

أمّاهُ
أنتِ كتابُ الفجرِ المفتوحُ على سرِّ البقاء
أنتِ نبعُ الحنانِ حين يجفُّ العالمُ من الحب
أنتِ المعنى الذي يربطُ الأرضَ بالسماء
والنور الذي يمحي الظلام في قلبي

لا تشبهي القمر
فالقمرُ يذوي في آخر الليل
أما أنتِ
فأصلُ النهارِ ومفتاحُ الخلود.

أثر فراشة..

سأسرقُ جناحينِ من نورٍ
وأجوبُ الجبالَ والسهولَ
كأنني أبحثُ عن سرٍّ يختبئُ
في تضاريسِ الأرضِ القديمة.

أرسمُ أثرَ الفراشةِ الزاهيةِ خلفي
لا كزينةٍ عابرةٍ
بل كعلامةٍ لروحٍ تتخفّفُ من ثقلِ الطين
وتتركُ للكونِ إشاراتِها.

أنثرُ حروفي في الأفقِ
فتغدو نجومًا صغيرةً
تضيءُ العتمةَ

وتعلّمُ الليلَ أنَّ الكلمةَ
حين تولدُ من وهجِ القلب
تصبحُ طريقًا إلى الخلود.

إنها رحلةُ الروحِ
حين تتجاوزُ حدودَ الجسد
وتتحوّلُ إلى أثرٍ لا يُمحى
كأنها تقولُ:
الوجودُ ليس ما نراهُ
بل ما نتركهُ من إشعاعٍ
في دروبِ الآخرين.

المصطفى (آية باقية)

صلّوا على الحبيبِ المصطفى
فهو النورُ الذي يبدّدُ العتمةَ
ويزرعُ في القلوبِ سكينةً
وفي الأرواحِ إشراقًا لا ينطفئ.

هو الرحمةُ المهداةُ
والآيةُ الباقيةُ في وجدانِ البشرِ
من تبعَ خطاهُ نجا
ومن أحبَّهُ وجدَ الفردوسَ طريقًا.

يا رسولَ اللّه، يا من حملتَ الحقَّ نورًا
وكنتَ للضعفاءِ سندًا
وللأيتامِ أبًا
وللأمةِ قلبًا لا يشيخُ.

صلّوا عليهِ، فالصلاةُ عليهِ حياةٌ
وذكرُهُ جَنّةٌ
وحبُّهُ شرفٌ لا يزولُ
هو سيّدُ الخلقِ، تاجُ الكرامةِ،
والمصطفى الذي اصطفاهُ اللّهُ رحمةً للعالمين.

سماء على وجهٍ أسمر ..

رأيتُ السماءَ مرسومةً على وجهٍ أسمر
لكنها بلا نجومٍ
ولا ليلٍ يهدأُ في حضنِ العتمة.

بلا غيومٍ
ولا طيورٍ مهاجرةٍ
تمورُ وتدورُ
ثم تستسلمُ لأسوارٍ ذهبيةٍ
تحاصرُها كقيدٍ أبديّ.

نظرتُ إليها ثانيةً
فوجدتُ مرآةً مقلوبةً
بلونٍ لا ينتمي لعالمنا
لونٍ بلا اسمٍ
ولا رسمٍ
كأنّهُ صرخةُ الفراغِ في وجهِ الوجود.

اقتربتُ منها
فابتعدتْ
خطاها سريعةٌ مرتجفةٌ
كأنّ أقدامها من ريشٍ وظلالٍ تائهةٍ
تسابقُ الريحَ نحو مجهولٍ لا يُدرك.

جلستُ مستسلمةً للبعدِ
بين أسئلةٍ تتعاركُ في رأسي
وطيفٍ يتوارى وراءَ الشمسِ
التي تشارفُ على المغيب
كأنّها تُعلنُ أنَّ النهايةَ ليست موتًا
بل بدايةٌ أخرى في ظلالِ الغياب.

تاجًا شامخًا..

بنيتُ من خُلُقٍ حصونًا شامخــا
تحمي الفؤادَ وتُسكنُ الروحَ الهُدى
والدينُ يرفعُ من جناحِ حريةٍ
كي لا تذوبَ بظلمةٍ أو تُمحى
والقَيمُ ميزانُ الحياةِ إذا سمتْ
تُبقي الطريقَ مُضيئَةً كي تُقْتدى
أما الخصوصيّةُ السُّورُ الذي
يحمي الكرامةَ أن تُهانَ وتُعتدى
فيها الأمانُ لامرأةٍ متألّقةٍ كالشمسِ
تُشرقُ في الدجى لا تُحتوى
جوهرةٌ في صونِها، في حيائها
لا تُستباحُ، ولا تُباعُ، ولا تُرى
فإذا صَبرتْ على القيمِ وأحاطها
سورُ العفاف، لم تُذلَّ ولم تُخَذل
إنّي رأيتُ الأخلاقَ تاجًا شامخًا
يُبقي النساءَ كواكبًا بينَ الورى

صومعة الحزن..

على حافة الانتظار أجلس..
أعتكف في صومعة الحزن وعيناي تمطران أجاجًا من الأسى..
وأستظل بشجرة الأمل..
علّني أنجو من ليل الوحدة؛ فيغدو القمر صديقي ويصبح القدر كتابي المنتظر.
كتابٌ لم يُكتب بعد لكنه يتهيأ في صمت الروح..
ويخطّ سطوره من وجعٍ قديم ومن رجاءٍ يتشبث بخيوط النور.

رسالة السلام..

أرنو بعينيَ نحوَ شمسٍ تُزهرُ
وبضياءِ رحمةِ ربِّنا أستَجِرُ
أسعى بخطوي في دروبٍ نَيِّرةٍ
أرسمْ بها حلمي، وأمضي مُبصِرُ
نورُ الإلهِ يضيءُ دربَ مسافري
ويهيمُ قلبي في هدىً مُستبشِرُ
أهتدي برسالةِ السلامِ مُشرِّعًا
بابَ الأمانِ على القلوبِ لتُزهِرُ

فراش مبثوث..

أمسكت بيده فإذا الكفّ يتحوّل إلى أسرابٍ من سرابٍ وفراشٍ مبثوث كأنّ اللمسة الواحدة تفتح أبوابًا خفيّة بين العدم والوجود.
والوداع ينسدل على وجوهنا كما الغروب يسكب آخر أنفاسه على الأفق فيغدو الوجه مرآةً للشمس وهي تنحني نحو الظلمة.
إنها لحظة يتقاطع فيها النور والغياب حيث يصبح الإمساك فعلًا من أفعال المقاومة ضدّ التلاشي ويغدو الوداع درسًا في فلسفة الفناء... أن كل لقاءٍ يحمل في جوهره بذرة الرحيل وكل يدٍ تُمسك أخرى إنما تُمسك ظلّها قبل أن ينفلت.

لهيب الشوق..

تَهادى في الفؤادِ لهيبُ شَوقٍ
يُذيبُ الصَبرَ في جَوفِ الحَيارِ
إذا ما غابَ وجهُ الحُبِّ عنّي
تَكسَّرَتِ المَنى مثلَ الفخارِ
أُناجي الطَيرَ في غُصنٍ رطيبٍ
فَيُوقِظُني الحَنينُ إلى الدِيارِ
أُخبّرُهُ بأسرارٍ دفينَةٍ
فَيَرجِعُ صَوتُهُ دَمعَ المَدارِ
وَما لِلقَلبِ إلا أن يَذوبَ
إذا ما هاجَهُ ذِكرُ المَزارِ
فَيا لَلعَينِ كم سَكبَتْ أسىً
ويا لِلنَفسِ كم عانَتْ ضِمارِ
أُعلّلُها بِوَعدٍ لا يَفيهِ
زمانٌ قاسَ في بَطشٍ جَبارِ
فَلا وَاللهِ ما وَجدٌ كَوَجدي
ولا صَبرٌ يُضاهي في اصطِباري

صدمة ...

كنت أتخيل الحياة بساطًا من نور يفرش لي دروبًا من صفاء وأحلامًا تتفتح كالزهر في صباح ربيعي ووجوهًا لا تعرف إلا الصدق والوفاء لكنني حين دنوت منها وجدت قسوةً تُبدد الأمل وخداعًا يختبئ خلف ابتسامة ووعودًا تتحول إلى سراب ورأيت كيف تنقلب الجنة التي رسمتها في خيالي إلى امتحانٍ عسير وكيف يذوب الحلم في رماد الواقع فصرت أعلم أن الدنيا ليست كما تخيلتها بل مرآة تكشف ضعف الإنسان وقوة صبره وأن النجاة فيها ليست بالثقة في بريقها بل بالقدرة على مواجهة خداعها والوقوف شامخًا أمام صدماتها.

اليد السامة ..

تمتد لتصافحك وتدعي الحب ليست سوى قناع يخفي أفعى غادرة تقترب منك بملمس لين وتبث فيك طمأنينة زائفة بينما في أعماقها يتربص السم الذي يذيب الثقة ويهدم الأمان.
هي يد تعرف كيف تبتسم لتخدع وكيف تقترب لتطعن وكيف تزرع في القلب بذور الطمأنينة لتسقيها غدرًا.
إن أخطر الأعداء ليس من يواجهك بوضوح بل من يندس في صفوف الأحبة متوشحًا ثوب المودة فإذا آن أوان الخيانة كشف عن أنيابه كما تكشف الأفعى عن سمها.
تلك اليد ليست سلامًا بل لعنة وليست حبًا بل موتًا بطيئًا وما أشد قسوة أن يكون الغدر في هيئة قرب وأن يكون السم في هيئة عناق.

الوسيلةُ ..

جسرُ الروحِ إلى غاياتِها..
بها يَبلغُ الإنسانُ ما لا تبلغهُ خطاه فهي سلاحُ العزمِ حينَ يَضعفُ الجسد ومَركبُ الأملِ في بحرِ العناء.
تُقيمُ بينَ القلبِ والمرادِ صلةً وتُذيبُ ما اعترضَ من صخورٍ وعقبات فإذا استقامتْ الوسيلةُ على الحقِّ أزهرتْ ثمارُها وإذا انحرفتْ غدتْ قيدًا يُثقِلُ صاحبَها فهي مفتاحُ الوصولِ وسرُّ الفعلِ وميزانُ الطريقِ بينَ العجزِ والاقتدار.

طائر مكسور..

طوالَ الزمنِ كنتُ كورقةٍ مبللةٍ
تتفتّتُ في يدِ الريحِ
وتبحثُ عن جذورٍ لا تراها.

ثم غدوتُ طائرًا مكسورًا
يتقاذفهُ صدى الجبالِ
كأنّهُ سؤالٌ معلّقٌ
بين هاويةٍ وسماء.

أطرقُ بابَ الأملِ مرّةً وأخرى
كأنّي أستجدي من الغيبِ
قبسًا يعلّمني كيف يولدُ الضوءُ
من قلبِ العتمة.

لكنّ الخيباتِ تنهضُ أمامي
كأشباحٍ من رمادٍ قديم
تضحكُ من ضعفي
وتزيدُني يقينًا أنّ الألمَ
هو المعلمُ الأشدُّ قسوةً
والأكثرُ صدقًا.

ومع ذلك، أظلُّ أطرقُ
وأظلُّ أؤمنُ أنّ الطائرَ المكسورَ
حين يتعلّمُ معنى السقوط
يكتشفُ أنّ التحليقَ ليس جناحًا
بل فكرةٌ تتجاوزُ الجسد
وتسكنُ في الروح.

أساس النهضة وعماد الإنسانية...

الأخلاق والدين، فهما البنيان الذي يرفع الإنسان من حضيض الغرائز إلى سمو القيم ويحوّل المجتمع من فوضى المصالح إلى نظام العدالة.
فالأخلاق بلا دين قد تتحول إلى شعارات خاوية والدين بلا أخلاق قد ينقلب إلى طقوس جامدة أما اجتماعهما فهو الجسر الذي يعبر به الإنسان نحو معنى أعمق للوجود حيث يصبح العمر رسالة والحرية مسؤولية والنهضة ثمرة وعيٍ يوازن بين الروح والعقل.

حديثُ الشمس

هل أنتِ ساحرةٌ؟! سألتني الشمسُ
فقلتُ إنّي كاتبةٌ تسبقُ الغد والأمسِ
ضحكتْ ورسمتْ على وجهها
ابتسامةً رقيقة وقالت كلمة بهمس
يذيبُ الصمتَ في دوامة النفس
قلتُ لها لما تضحكي يا شمسُ؟
فقالتْ كاذبةٌ أنتِ يا بنتَ قبسِ
فحزنتْ و غربتْ في أفقها وسكتُّ
والقلبُ انطفى في غربةٍ وبؤسِ
رسمتْ لي على الأفقِ لوحةً حالمةً
كتبتْ بها: لستِ يا سيدتي من الإنسِ
فكيفَ لبشرٍ أن يخطَّ حروفَهُ
فيداعب الأرواحَ في وجدانِها
ويلعب بدهاء على أوتار الحسِّ؟

نزيفٌ نبيل..

دموعُ قلمي انسكبتْ على الورق فغمرته بفيضٍ من أسرارٍ لا يبوح بها سوى الحبر...
كأنّ السطورَ صارت أنهارًا من وجعٍ يلمع في عتمة الروح.
القوافي إذ طافتْ حوله أهدتْهُ أجنحةً من موسيقى فارتقى النصُّ من مجرد كلماتٍ إلى كيانٍ حيٍّ يتنفس عبير الإبداع.
إنه نزيفٌ نبيل، حيث يتحوّل الألم إلى زهرٍ والدمع إلى نغمٍ والورق إلى مرآةٍ تعكسُ صراعَ الروح بين الانكسار والنهضة.
فكلّ حرفٍ يقطرُ من القلم هو شهادةُ ميلادٍ جديدةٍ للمعنى وكلّ قافيةٍ تعانقُهُ هي وعدٌ بأنّ الإبداع يولد من الرماد كما يولد الفجر من رحم الليل.

حسنَ الوفادِ..

خالَ لي خيالُ الخيلِ بينَ البوادي
فاطمأنَّ قلبيِ إذ رأى حسنَ الوِفادِ
فرسانُ عزٍّ قد أسرجوا خيلَ بأسِهم
لملاقِ أعاديهمْ بحدِّ الجلادِ
تأهّبوا واستعدّوا لنُصرةِ صَوتِ
مستضعَفٍ ينادي في ظلامِ السوادِ
هيا تقدّموا فوقَ الجيادِ كرامةً
وارفَعوا الراياتِ في عُلوِّ الجهادِ
كبّروا، فالخيرُ في سمرِ الزنادِ
إذا أشرقتْ قلوبُكمْ بنورِ الرشادِ
اللّهُ معكمْ حيثُما ثقفتمُ الحقَّ
والخيلُ تصهلُ معكم في كل نادي

الخامس عشر من أيار عام 1948،
انشقت الأرض عن جرحٍ لا يندمل، وسُمّي ذلك اليوم النكبة.
كان الوطن يصرخ تحت وطأة إعلان قيام إسرائيل، فيما آلاف القرى والمدن الفلسطينية تُمحى من الخرائط، وتُحرق البيوت، ويُهجَّر أهلها قسرًا إلى المنافي.
أكثر من تسعمئة ألف إنسان اقتُلعوا من جذورهم، يحملون مفاتيح بيوتهم في جيوبٍ مثقلة بالحنين، ويتركون وراءهم حجارةً تشهد أن لهم هنا حياةً لم تكتمل.
ذلك اليوم لم يكن مجرد حدثٍ عابر، بل بداية مأساة ممتدة؛ حيث تحوّل الفلسطيني إلى لاجئ، والقرية إلى أطلال، والذاكرة إلى ساحة مقاومة.
النكبة لم تكن سقوط وطن فحسب، بل سقوط العدالة أمام عيون العالم، وولادة قضيةٍ ستظل حيّة ما دام في الصدور نفسٌ يرفض النسيان.
في ذكرى النكبة، يتجدد الوجع كأنه حاضر، ويُرفع المفتاح رمزًا للعودة، ويُستعاد الصوت الذي يقول: لن نرحل. إنها لحظة استحضارٍ للغائبين، وتذكيرٍ بأن الأرض لا تُباع، وأن التاريخ لا يُمحى، وأن الحق مهما طال غيابه سيعود يومًا ليضيء الطريق.

جيادُ العز..

جادت جيادُ العزِّ في ميدانِها
فارتدَّ صَوتُ النصرِ يعلو في البَشر
وصَهِلتْ تدعو القلوبَ لعزمِها
فتهزُّ أرواحَ الفوارسِ بالظَفَر
ومَجدُنا مع كلِّ صبحٍ ناهِضٍ
يولَد جديدًا في ضميرِ المستقَر
شمسُ الكرامةِ لا تغيبُ بنورِها
بل تُشرقُ الأجيالَ في عِزٍّ أَسَر
تليدُنا صرحٌ يظلُّ مخلَّدًا
يَسقي البطولاتِ العِظامَ بما أمر
فإذا الفوارسُ في الميادينِ ارتقَت
عادَ الزمانُ يَسيرُ في دربِ الظَّفَر

عدالة(ققج)

القصورُ التي شيدوها بأشلائنا؛ باتت قبورًا تتقيأُ رفاتَهم.

عاصفة عمياء ..

يغشى العقولَ كعاصفةٍ عمياء
يصوغ منها قاربًا مثقوبًا
يغرق في منتصف البحر
بلا شراعٍ ولا قائدٍ
قائدٍ يهاب الموجَ ويجهل السباحة

كبرٌ يتضخّم حتى يعمي القلوب
ويحتل حصونَ البصيرة
كبرٌ جعل إبليسَ ملعونًا
وجعل البشرَ أسرى خلف وهمٍ زائف
فخرٍ يتراكم كزبد البحر
ثم يتلاشى كأنه لم يكن

أيخرق الأرضَ أمِ يخرق النفسَ الضعيفة؟
أيبلغ الجبالَ طولًا
أم يهوي في وديان الجهل والحماقة؟

متى ندرك أن الكبرَ مفتاحُ الشرور
وأن التواضعَ مفتاحُ القبول؟
سنُصبح مطرودين
ونحن لاهون غافلون
كأمواجٍ تنكسر في صمت الأفق
وتذوب في فراغٍ لا عودة منه

الخاتمة..

في نهاية هذا السفر، تنطفئ الحروف على الورق لتضيء في القلب، كأنها شمس صغيرة تركت بقعة ضوءٍ لا تزول.

هنا، حيث تتقاطع الخواطر مع القصائد، يكتمل المعنى في صمتٍ عميق، ويغدو الكتاب مرآةً لروحٍ تبحث عن إشراقها بين العتمة والضياء.

كل كلمةٍ كُتبتْ هنا تحمل بذرة نصٍّ جديد، وكل قصيدةٍ تلمع كخيط نورٍ يفتح أبواب الحلم.
وما الكتاب إلا شاهدٌ على أن الشعر يظلّ شمسًا لا تغيب، مهما توارى خلف غيوم الأيام.

تأليف، تنسيق، تصميم وتدقيق.

الكاتبة والشاعرة منى قبس دخيل

اللقب الأدبي: أم البنين السورية، جلنار زهرة الرمان، عاشقة الشام.